

Manuscript Qur'ānic Codices and Their Impact on the Sciences of the Qur'ān: The Science of Rasm al-Muṣḥaf as a Model

[10.35781/1637-000-138-006](#)

د. عبدالعزيز بن محمد الأمين الشنقيطي*

*الأستاذ مشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
المملكة العربية السعودية

الملخص

يهدف البحث إلى بيان أسبقية علماء الإسلام في العناية بالمخطوطات لا سيما المصاحف العثمانية، وبيان أثر المصاحف المخطوطة القرآنية في علوم القرآن، وبيان التكامل المعرفي بين المصاحف المخطوطة وعلم رسم المصحف.

تقوم طبيعة هذا البحث على اتباع المنهجين التحليلي والوصفي، حيث قام الباحث بجمع وتحليل جهود العلماء في العناية بالمصاحف المخطوطة، ثم ذكر نماذج لهذه المصاحف ووصفها.

وتوصل البحث لعدة نتائج أبرزها:

- 1- أهمية العناية بالمصاحف المخطوطة وإخراجها.
 - 2- المكتبة القرآنية بحاجة ماسة لدراسات مقارنة بين قواعد الرسم العثماني، وواقع المصاحف المخطوطة.
 - 3- دراسة جهود الأئمة المتقدمين في الربط بين قواعد الرسم العثماني، والمصاحف المخطوطة.
- الكلمات المفتاحية: المصاحف، المخطوطة، القرآن، رسم.

Manuscript Qur'ānic Codices and Their Impact on the Sciences of the Qur'ān: The Science of Rasm al-Muṣḥaf as a Model

Dr. ABDULAZIZ ALHUSSAIN ALSHANQITI*

*Associate Professor, Islamic University

Abstract

Title of the Study: Manuscript Qur'ānic Codices and Their Impact on the Sciences of the Qur'ān: The Science of Rasm al-Muṣḥaf as a Model

Research Objectives:

- 1- To highlight the precedence of Muslim scholars in preserving and studying manuscripts, particularly the 'Uthmānic codices.
- 2- To investigate the influence of Qur'ānic manuscript codices on the development of Qur'ānic sciences.
- 3- To clarify the epistemological interrelation between Qur'ānic manuscripts and the science of rasm al-muṣḥaf (Qur'ānic orthography).

Methodology:

The study adopts both analytical and descriptive approaches. It collects and analyzes the scholarly efforts related to Qur'ānic manuscripts, and provides descriptive case studies of selected examples.

Key Findings:

- 1-The study confirms the significance of preserving and publishing Qur'ānic manuscripts.
- 2-demonstrates the urgent need for comparative studies between the principles of 'Uthmānic orthography and the manuscript tradition.
- 3-It underscores the role of early scholars in linking the principles of 'Uthmānic orthography with extant Qur'ānic manuscripts.

Keywords: Manuscripts, Qur'an, Muṣḥafs, Orthography.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علينا أشمل كتاب وأرسل إلينا أفضل الرسل، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، أما بعد:

فقد اعتنى فلم يزل علماء الشريعة على امتداد تاريخ أمتنا المجيد يسخرون علومهم لخدمة كلام ربنا ﷻ وبذلوا في ذلك جهودهم وأوقاتهم، فقطعوا القفار في سبيل تعلم كلام ربنا ﷻ، ولعلي في هذا البحث أسلط الضوء على نوع مهم من المخطوطات الإسلامية، وهي المصاحف المخطوطة، ويبرز هذا النوع من الأبحاث عناية علمائنا المتقدمين في العناية بالمخطوطات وأنهم أهل السبق في ذلك؛ لذلك آثرت أن أقوم بتسليط الضوء على هذه المصاحف وأهميتها التاريخية والعلمية مستشهداً في ذلك بجهود من سبقنا من أئمة الإسلام في عصور متقدمة، وقمت بتتبع هذه الجهود ثم أتبع ذلك بوصفٍ لعددٍ من المصاحف المخطوطة وبيان لما احتوت عليه من قيمة تاريخية ومسائل علمية، راجياً من الله ﷻ في ذلك القبول والإخلاص، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد اقتضت طبيعة البحث قسمته إلى ثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: المصاحف المخطوطة وأهميتها من الناحيتين التاريخية والعلمية.

المطلب الأول: التعريف بالرسم العثماني.

المطلب الثاني: المصاحف المخطوطة وأهميتها من الناحيتين التاريخية والعلمية

المبحث الثاني: نماذج من استشهاد علماء الرسم بالمصاحف المخطوطة -دراسة تحليلية-.

المطلب الأول: التعريف بالإمام السخاوي

المطلب الثاني: المصاحف التي استشهد بها الإمام السخاوي -رحمه الله

المبحث الثالث: نماذج من المصاحف المخطوطة وأبرز مميزاتها -دراسة وصفية-.

المطلب الأول: التعريف بـ (مصحف ابن البواب)

المطلب الثاني: التعريف بـ (مصحف ياقوت المستعصمي)

منهج البحث:

سلكت - بمشيئة الله تعالى في هذا البحث المنهج التحليلي، وذلك وفق الخطوات التالية:

1. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني.
2. عزو الآيات بذكر رقم الآية واسم السورة، وجعلته في متن البحث بين معكوفتين.
3. تخريج الأحاديث والآثار من مظانها.
4. توثيق النص والنقل الوارد في البحث من مصادره.
5. لم أترجم للأعلام والبلدان لضيق مقام البحث.
6. ضبط ما يحتاج إلى ضبط، والتعليق في الحاشية على ما يحتاج إلى تعليق.

المبحث الأول

المصاحف المخطوطة وأهميتها من الناحيتين التاريخية والعلمية. ، وفيه مطلبان

المطلب الأول: التعريف بالرسم العثماني.

استخدم العلماء مفردات متعددة للدلالة مرسوم الخط، منها:

- 1- الكتابة: استخدمه الأقدمون للدلالة على كل مكتوب بخط اليد، واستخدم الأقدمون
- 2- الهجاء: واستخدمه الأقدمون للدلالة خط المصاحف، ويقصد به هجاء الحروف.
- 3- الرسم: ويراد به أثر الكتابة في اللفظ، وهذا اللفظ وإن كان عاماً في مدلوله على رسم كل الحروف، إلا أنه اقترن بالطريقة التي كتب بها القرآن كما سيأتي⁽¹⁾.

ويُقصدُ بالرسم العثماني أو علم رسم المصحف: الطريقة التي كُتبت بها الكلمات القرآنية في المصحف وبيان المواضع التي خالف في هذا الرسم قواعد الإملاء المعروفة، ويستند رسم الكلمات في المصحف إلى طريقة رسمها في المصاحف التي نسخت في خلافة عثمان رضي الله عنه، والتي عرفت في المصادر الإسلامية باسم المصاحف العثمانية، نسبة إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه كونه هو الذي أمر بنسخها ونشرها في حواضر الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، ومن هنا اصطلاح الناس على تسمية الخط الذي كتبت به هذه المصاحف بالرسم العثماني⁽²⁾.

وقد حافظ المسلمون على رسم الكلمات في المصحف كما جاءت في المصاحف العثمانية الأولى، مع ما في عدد منها من حذف بعض الحروف أو زيادة بعضها، اقتداء بعمل الصحابة، رضي الله عنهم، وكان الإمام مالك -رحمه الله- قد سئل: «أرأيت من استكتب مصحفا اليوم، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء (الإملاء) اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبة الأولى» قال أبو عمرو الداني: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة⁽³⁾، وظل هذا الموقف من الالتزام بالرسم العثماني في كتابة المصاحف إلى زماننا⁽⁴⁾.

(1) انظر: هجاء الكتابة العربية للفضل الصادق (ص2).

(2) انظر: رسم المصاحف للدكتور غانم قدوري الحمد(ص155).

(3) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني(ص9-10).

(4) أصدرت لجنة الفتوى في الأزهر سنة 1355 هـ فتوى بعدم جواز طبع المصحف بالإملاء الحديث (ينظر: مجلة الأزهر مج 7 ج 10 شوال 1355 هـ- باب الأسئلة والفتاوى).

المطلب الثاني: المصاحف المخطوطة وأهميتها من الناحيتين التاريخية والعلمية.

أولاً: تاريخ كتابة القرآن الكريم:

إنَّ المتأمل في تاريخ كتابة القرآن الكريم يجد أنه مرَّ بمراحل متعددة ابتدأت هذه المراحل بكتابته في عصر النبوة وقت نزول الوحي، حيث اتخذ النبي ﷺ كتاباً للوحي ونهى عن كتابة شيء غير القرآن؛ خشية التباسه بغيره، فعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحدثوا عني ولا حرج" (1).

وقد كان نبينا الكريم ﷺ في هذه المرحلة حريصاً على تدقيق النص القرآني الذي كتبه كتاب الوحي، ويدلُّ على ذلك ما رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه بقوله: (كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ... فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة، فأكتب وهو يملئ علي،... فإذا فرغت قال: "اقرأ"، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس) (2).

إلّا أنَّ المقصد من هذه المرحلة لم يكن جمعه في مصحف كامل، بل كان الهدف هو حفظ النص القرآني من الضياع، والتيسير على الصحابة في حفظ القرآن وتعلمه. لذلك كان النص القرآني الذي كتبه الصحابة رضي الله عنهم متفرقاً بينهم، وكانت الكتابة على ما تيسر لهم من الألواح والرقاع وغيرها.

المرحلة الثانية:

جمع القرآن في مصحف واحد:

وكانت هذه المرحلة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد حروب الردة لما استشهد عدد كبير من حفاظ القرآن من صحابة النبي ﷺ فخاف عمر رضي الله عنه من ضياع القرآن فأشار على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن، فكلف زيد بن ثابت رضي الله عنه ومعه عدد من الصحابة بذلك فتتبعوا ما كتبه الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبي ﷺ وما هو محفوظ بصدورهم، ووضعوا لذلك عدد من الضوابط:

- 1- أن يأتي الصحابي بشاهدين يشهدان أنه سمع الآيات من النبي ﷺ.
- 2- إذا اختلفت الصحابة في آية معينة فيثبتون ما كان بلغه قريش لأن القرآن نزل بلسانهم أولاً.

(1) صحيح مسلم: (2298/4)، حديث رقم (3004).

(2) مجمع الزوائد للهيتمي: (152/1).

فجمع القرآن في مصحف واحد وكان هذا المصحف عند الخليفة يُرجع له في وقت الاختلاف، ولم يكن متاحاً لعامة المسلمين.

المرحلة الثالثة: نسخ المصاحف ونشرها :

لما انتشر الإسلام ودخل غير العرب في الإسلام كثر الخلاف واللعن في القرآن فاحتاج المسلمون إلى جمع القرآن في مصاحف ونشر هذه المصاحف في حواضر الإسلام في ذلك الوقت، فقام الخليفة عثمان رضي الله عنه بهذا الأمر بعد مشورة حذيفة رضي الله عنه، فقام بنسخ عدد من المصاحف، أبقى واحداً منها لنفسه، وأرسل بقيتها لعواصم الدولة الإسلامية، وبعث مع كل مصحف مقرأً يقرئ الناس بمضمونه ⁽¹⁾.

ويسمى كل مصحف من هذه المصاحف العثمانية ب (المصحف الإمام)؛ لأنه كان بمثابة الإمام الذي يرجع إليه المسلمون عند اختلافهم، وتعدُّ هذا المرحلة هي النواة الأولى لانتشار المصاحف المخطوطة، وقد حرص علماء الأمة وقراءها على هذه المصاحف وتتبعها والاستشهاد بها عند الاختلاف كما سيأتي في المبحث الثاني.

ثانياً: أهمية المصاحف المخطوطة من الناحية التاريخية والعلمية :

أصبحت المصاحف العثمانية مرجعاً رئيساً عند اختلاف الأئمة والحفاظ، وجهود أئمة المسلمين في العناية بهذه المصاحف ظاهرة وجلية، ولعلي أبين بعض هذه الجهود من خلال المحورين التاليين:

المحور الأول: أهمية المصاحف المخطوطة من الناحية التاريخية:

بلغت عناية العلماء بالمصاحف المخطوطة عنايةً بالغة حيث اجتهدوا في تتبع هذه المصاحف والرحلة إليها، ودراستها وبيان أهمِّ المسائل والظواهر في هذه المصاحف فقد قدموا لنا وصفاً كاملاً عن كل حرف كتب به أثناء جمعه في مصحف واحد، وما طرأ على هذا النسخ من نقط وشكل، وغير ذلك من علامات تعين على قراءته وتجويده، ممَّا لا يتسع المجال لذكره.

فما إن تمَّ جمع المصاحف العثمانية بالمدينة، حتى أرسلت مباشرة إلى الأمصار، فسارع المسلمون إلى نسخ هذه المصاحف منها كلمة بكلمة، وحرفاً بحرف.

وانبرى فريق من العلماء إلى تدقيق وضبط هذه المصاحف المنسوخة وإقامتها على جاء في المصحف الإمام الذي أرسل إليهم، وهكذا قامت المصاحف المنسوخة من الأمهات مقام الأصول؛ لأنها نسخة منقولة عنها.

(1) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار: (ص19).

فروى الأئمة عن المصاحف العثمانية -أصولاً وفروعاً- طريقة رسم الكلمات.

وما أن وصلت تلك الرواية إلى عصر انتشار تدوين العلوم حتى سارع العلماء -في وقت مبكر- إلى تسجيل تلك الروايات في كتب كانت أساساً لحفظ صور الكلمات في المصاحف، ومرجعاً -إلى جانب المصاحف المنسوخة- لمن أراد أن ينسخ مصحفاً.

وقد ظهر في كل مصر من الأمصار إمام روى ما ورد في مصحف بلده، إذ إن أئمة القراءة كانوا يروون كيفية رسم الكلمات إلى جانب روايتهم للقراءة، وتوفرت روايات رسوم مصاحف الأمصار لدى العلماء في وقت مبكر فظهرت لهم مؤلفات سجلت لهم في تراجمهم، ثم تتابع الفيث من بعدهم، فظهرت مؤلفات كثيرة في هذا الفن، نذكر منها على سبيل المثال:

1- "اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة" للإمام الكسائي، "ت 189هـ".

2- "المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار" لأبي عمرو عثمان بن سعد الأموي الداني، المعروف في زمانه بابن الصيرفي "ت 444هـ".

ولم تزل جهود العلماء والباحثين إلى اليوم مستمرة في العناية بعلم رسم المصحف عامة، وبالمصاحف المخطوطة على وجه الخصوص⁽¹⁾.

ومن أبرز هذه الجهود في العصر الحديث كتاب "رسم المصحف - دراسة لغوية تاريخية" للأستاذ الدكتور: غانم قدوري الحمد.

حيث تناول فيه مؤلفه المنهج اللغوي والتاريخي لرسم المصحف في ستة فصول.

وبين في الفصل الخامس جهود علماء الرسم والعربية في تكميل الرسم العثماني عبر التاريخ ابتداءً من كتاب الوحي ﷺ مروراً بنقط المصاحف وضبطها، ثم عصر الطباعة وأثره في كتابة القرآن، حتى استوى على ما نجده اليوم في المصاحف، وما نستعمله في الكتابة.

المحور الثاني: أهمية المصاحف المخطوطة من الناحية العلمية:

بالرغم من أهمية المصاحف المخطوطة إلا أن الاهتمام بالمصاحف المخطوطة دون المأمول، بالرغم مما تحتويه من مسائل علمية تتعلق بالقراءة وعلومها؛ كالقراءة التي كُتِبَ بها المصحف، والضبط، وعدّ الآي، والتعشير والتخميس، وغير ذلك مما تحتويه هذه المصاحف المخطوطة.

وقد اعتنت الدراسات الحديثة المصاحف المخطوطة بجماليات هذه المصاحف وفنياتها أكثر مما أخذته الدراسة العلمية لها، حتى إنه يمكنك عدّ الدراسات العلمية عدداً؛ لقلّتها.

ولعلي أذكر في هذا المحور أهم العلوم التي اشتملت عليها هذه المصاحف ممثلاً لكل علم من هذه العلوم بمثال واحد.

(1) انظر: دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر: (ص 120).

أ- علم القراءات:

اتخذ قراء المصاحف العثمانية أصلاً من الأصول التي اعتمدوا عليها في إثبات القراءة، بل جعلوا موافقة القراءة للخط الذي كُتبت هذه المصاحف شرطاً من شروط قبول القراءة، فلا تقبل قراءة إلا بعد اشتمالها على هذا الشرط.

قال الشيخ الإمام أبو العباس الكواشي الموصلي في أول تفسيره التبصرة: "وكل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوص عليها ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين، أو متفرقين فعلى هذا الأصل بني قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف، ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة انتهى."⁽¹⁾
ويظهر مما سبق أن عناية علم القراءات بالمصاحف لا بد منه؛ إذ موافقتها ركن من أركان قبول القراءات.

ومن أمثلة ذلك تنوع القراءات في هذه المصاحف فتجد اختلاف القراءات موزعاً بين هذه المصاحف كما قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ آل عمران: ١٨٤، فكتبت في مصحف الشام (بالبينات وبالزبر) بإثبات الباء، وقرأ بها أهل الشام لأنها موافقة لمصحفهم، وحذفت الباء في المصاحف الأخرى.⁽²⁾
ب- علم رسم المصحف:

موضوع علم رسم المصحف هو دراسة المواضع التي خالف فيها الرسم العثماني قواعد الإملاء التي يتبعها العرب في كتابتهم، وقد اعتمدوا في هذا على المقارنة بين المصاحف العثمانية والمصاحف المنسوخة منها، ويظهر مما سبق أن علم رسم المصحف قائم على هذه المصاحف؛ إذ هو مصدر من المصادر التي بنى عليها علماء الرسم هذه القواعد -أي قواعد الرسم العثماني-.
ومن الأدلة على عناية هذا العلم -علم رسم المصحف- بالمصاحف المخطوطة ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من حرمة مخالفة هذه المصاحف حيث ذهب الجمهور إلى وجوب كتابة المصاحف بالخط الذي كتبت به في عهد عثمان رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم أجمعين.
روى الداني بسنده أن الإمام مالك -رحمه الله- قيل له: "أرايت من استكتب مصحفا اليوم، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم، فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبية الأولى"⁽³⁾.

(1) النشر: (44/1).

(2) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: (ص118).

(3) المقنع في رسم مصاحف الأمصار: (ص9-10).

ج- علم عدّ الآي:

علم عدّ الآي يُعنى بإحصاء آيات القرآن وموضع انتهاء الآية وابتداء الآية التي تليها، واختلاف العلماء في ذلك، ولما كان هذا العلم يُعنى بالعدد والإحصاء أدخلوا في تجزؤاً كل ما تعلق بالعدد كعدد أحرف القرآن، وعدد أرباعه وأحزابه وأجزائه، ونحو ذلك، فتوضع علامة لكل ما سبق. وقد كانت المصاحف العثمانية أول الأمر خاليةً من أي علامة للضبط، فلم يُثبت فيها إلا الكلمات القرآنية، وكان أول ما أدرج فيها بعد علامات الضبط⁽¹⁾ هي مواضع الآيات، روى الداني بسنده عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: "كان القرآن مجرداً في المصاحف فأول ما أحدثوا فيها النقط على التاء والياء، وقالوا: لا بأس به هو نور له ثم أحدثوا فيها نقطا عند منتهى الآي ثم أحدثوا الفواتح والخواتم

قال أبو عمرو وهذا يدل على التوسعة في ذلك"⁽²⁾.

وإن المتأمل في المصاحف المخطوطة التي بين أيدينا يجد اختلاف هذه المصاحف في شكل هذه العلامات، ويظهر لك في الجدول التالي بعض هذه العلامات واختلافها في عدد المن المصاحف المشهورة:

العلامة	مصحف القاهرة	مصحف طوب قابي	مصحف ابن البواب	مصحف إشبيلية	مصحف برنستون	مصحف ميونخ
رأس الآية	-					

ويجدر التنبيه أن بعض الأئمة كرهوا وضع هذه العلامات لتلا يلتبس القرآن بغيره، لكن لما أمّن اللبس توسعوا في ذلك كما ذكر الداني.

(1) علامات الضبط هي: علامات إعراب وإعراب الحروف. انظر: المحكم للداني: (ص9-10).

(2) المحكم في نقط المصاحف: (ص17).

المبحث الثاني

نماذج من استشهاد علماء الرسم بالمصاحف المخطوطة -دراسة تحليلية-

لكلِّ علمٍ من العلوم على اختلافها وتنوعها مصادر تُستقى منها هذه العلوم، فتكون بذلك هي المصدر الذي يُرعى إليه عند الاختلاف، فعلم النحو مثلاً يُرجع فيه عند الاختلاف إلى كلام العرب وأشعارهم.

أمّا علم رسم المصحف، فمصدره الذي بُنيَ عليه هو المصاحف العثمانية التي جُمِعَتْ في عهد عثمان رضي الله عنه، فبعد كتابة هذه المصاحف أمر رضي الله عنه بحرق ما عداها من المصاحف لئلا يقع الاختلاف بين الناس، ووقد تلقى الصحابة رضي الله عنهم والأمة من بعدهم هذا الأمر بالقبول فأصبحت هذه المصاحف هي المرجع الذي يعرف من خلاله مسائل هذا الرسم، إلا أنَّ الأئمة خافوا من ضياع هذا العلم إذا فقدت هذه المصاحف فسلكوا أكثر من مسلك في حفظ هذا العلم:

الأول: نسخ هذه المصاحف، وهذا الذي كان عليه العمل أول الأمر، فعمدوا إلى المصحف الإمام ونسخوا منه عدداً كبيراً من المصاحف.

الثاني: لما انتشرت هذه المصاحف المنسوخة من المصحف الإمام، لم يؤمن اللبس والخوف من تحريف النسخ، فقد تُكْتُب المصاحف على ما أحدث الناس من قواعد الإملاء دون الالتزام بما هو موجود في المصحف الإمام.

لذلك بادر عدد من العلماء إلى حفظ وجمع المواضع التي خالف فيه خط المصحف الإمام قواعد الرسم الإملائي أو القياسي وذلك عن طريق الرواية، ثمَّ صنفوا في ذلك عدداً من المصنفات، أبرزها:

- 1- كتاب المصاحف لأبي بكر بن داود (ت316هـ).
- 2- كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني (ت444هـ).

فأصبحت هذه الكتب هي المصدر في مسائل هذا العلم.

إلا أنَّ عدداً من العلماء ممن أتى بعد ذلك اتخذ طريقةً فريدةً في التصنيف في هذا العلم فسار على منهج علماء الرسم في التصنيف في هذا العلم، من جمع المواضع التي خالف فيه خط المصحف الإمام قواعد الرسم الإملائي مع الرجوع إلى المصاحف العثمانية والاستشهاد بما فيها، فجمع بين في ذلك بين الدراسة النظرية والميدانية.

وقد آثرتُ في هذا المبحث أن أبرز جهد عالم من علماء القرآن في هذا الباب وهو الإمام علم الدين السخاوي، حيث لم يكتفِ بما هو موجود في كتب الرسم بل قام بتتبع المصاحف العتيقة والمقارنة بينها وبين ما هو موجود في كتب الرسم، قال -رحمه الله- في تعليق على جعل الواو صورةً للهمزة في ﴿تَقَوُّوا﴾: "وقد كشفته، وتتبع الرسم الذي اختص به مصحف الشام فوجدته كله فيه"⁽¹⁾. ونظراً لطبيعة البحث وخشية الإطالة فسأذكر في هذا المبحث المصاحف التي استشهد بها الإمام السخاوي، والاستشهاد لكل مصحفٍ من هذه المصاحف بمثال أبين فيه المسألة واستشهاد السخاوي بما هو موجود في المصاحف العتيقة.

• التعريف بالإمام السخاوي:

1- اسمه:

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمداني المصري السخاوي المقرئ النحوي الملقب علم الدين.

2- مولده ونشأته:

ولد بقرية سخا في مصر سنة ثمان وخمسين وخمسائة، ونشأ بها، ثم ارتحل إلى القاهرة وتعلم على الشيخ أبي محمد القاسم الشاطبي المقرئ، وأتقن عليه علم القراءات، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم، وكان الناس يزدحمون عليه في الجامع بدمشق لأجل القراءة، ولا تصح لواحد منهم نوبة إلا بعد زمان. وكان يركب دابته وهو يصعد إلى جبل الصالحين، وحوله اثنان وثلاثة وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر، والكل في دفعة واحدة، وهو يردُّ على الجميع. وشرح «المفصل» للزمخشري في أربع مجلدات، وشرح القصيدة الشاطبية في القراءات، وكان قد قرأها على ناظرها، كما شرح منظومة الإمام الشاطبي في الرسم المسماة (عقيلة أتراب القصائد) بشرح سماه (الوسيلة إلى كشف العقيلة).

3- وفاته:

توفي -رحمه الله- بدمشق سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وله قرابة تسعين عاماً⁽²⁾.

(1) الوسيلة إلى كشف العقيلة: (ص131).

(2) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (1963/5)، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (568/1).

• المصاحف التي استشهد بها الإمام السخاوي -رحمه الله:

لم يكتفِ السخاوي بالنظر في مصحف واحد، بل اعتمد على عددٍ من المصاحف، وربما رجع في مصرٍ واحد إلى عدد من المصاحف وفيما يلي بيان لهذه المصاحف:

1- المصحف الشامي:

نقل الإمام السخاوي عن هذا المصحف الموجود بمدينة دمشق، وقد رجح السخاوي أن هذا المصحف من المصاحف العثمانية أو أنه نسخ منه على أبعد تقدير، قال -رحمه الله- في أول موضع تكلم فيه عن هذا المصحف: "لأنني كذلك رأيته في مصحفٍ لأهل الشام عتيق يغلب على الظن أنه مصحف عثمان عليه السلام أو هو منقول منه"⁽¹⁾.

وقد وجد هذا المصحف بمسجدٍ في ناحية من نواحي دمشق تسمى آنذاك بالكشك، وهذا المصحف يزعم بعض العوام أنه لعللي عليه السلام، وقد ورد ذكر هذا المصحف في عددٍ من المصادر، وكان لأهل الشام عنايةً به⁽²⁾.

استشهاد السخاوي بهذا المصحف:

يعد المصحف الشامي أكثر المصاحف التي استشهد بها الإمام السخاوي عند ذكره لمسائل الرسم، وهذا المصحف من المصاحف التي اعتنى بها العلماء قديماً، ونصوا عليها في كتبهم، ومن المواضع التي استشهد بها السخاوي -رحمه الله- بمصحف أهل الشام استشهاده لحذف الألف في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ﴾ المجادلة: ٢، والعمل اليوم في جميع المصاحف على حذف الألف في هذا الموضع⁽³⁾.

2- المصاحف العراقية:

نقل الإمام السخاوي عن عددٍ من المصاحف الموجودة بالعراق دون تحديدٍ لواحدٍ منها أو مكان وجوده على وجه التحديد كما فعل في مصحف أهل الشام، إلا أن هذه المصاحف التي وقف عليها من المصاحف العتيقة⁽⁴⁾، وقد ذكر السخاوي أنها من المصاحف المعتبرة عند علماء الرسم، قال -رحمه الله-: "ورأيته في المصاحف العراقية القديمة المعتبرة"، وقال في موضعٍ آخر: "ورأيته في المصاحف العتيقة العراقية كلها بألف..."⁽⁵⁾.

(1) الوسيلة إلى كشف العقيلة: (ص131).

(2) انظر: رحلة ابن جبير: (ص217).

(3) انظر: دليل الحيران: (ص238-239).

(4) يطلق على مصطلح المصاحف العتيقة على المصاحف القديمة ذي القيمة التاريخية، انظر: المصاحف العتيقة شواهد للقراءة والرسم عند متقدمي أهل العلم، بحث محكم للدكتور عبدالرزاق هرماس.

(5) انظر: الوسيلة إلى كشف العقيلة: (ص224،284).

استشهاد السخاوي بهذا المصحف:

استشهد السخاوي بمصاحف أهل العراق، ولم يفرق بين مصاحف أهل الكوفة والبصرة بالرغم من وجود خلافات في بعض مسائل الرسم بين المصحفين، ولعلّ السبب في هذا أنّ المواضع التي نقلها السخاوي لا خلاف فيها بين مصاحف الكوفة والبصرة، فلم تكن هناك حاجة للتفرقة بينهما. وقد استشهد بالمصاحف العراقية في تسع مواضع، منها استشهاده بإثبات الألف في قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ﴾** الفجر: ٢٣، وقد اختلف علماء الرسم في إثبات الألف وحذفها في هذا الموضع، فاختر أكثر علماء الرسم إثبات الألف، وعليه العمل في المصاحف اليوم، واختار أبو داود حذف الألف، قال رحمه الله: "واختياري حذف الألف فاعلم ذلك"⁽¹⁾.

3- المصاحف المدنية:

اشتهرت المدينة المنورة بوجود عدد كبير من المصاحف المخطوطة؛ لانطلاق جميع مراحل كتابة القرآن منها، ولكونها العاصمة العلمية والإدارية في العصر الأول لدولة الإسلام، لذلك نصّ السخاوي على عدم إحاطته بجميع هذه المصاحف مع وصفه لها بالعتيقة، كما نجد أنّه لم يذكر مصحفاً معيّنًا، بل استشهد إجمالاً على ما وقف عليه منها كقوله -رحمه الله-: "وكذلك رأيته أنا في بعض مصاحف المدينة العتيقة"⁽²⁾.

استشهاد السخاوي بهذا المصحف:

بالرغم مما ذكرنا من كثرة هذه المصاحف، إلا أنّ السخاوي لم يستشهد بمصاحف المدينة إلا في أربع مواضع فقط، منها استشهاده لقراءة إثبات الياء في قراءة نافع وأبو عمرو وابن عامر وشعبة في قوله تعالى: **﴿يَعْبَادُ﴾** الزخرف: ٦٨، وجاءت قراءة الباقيين بحذف الياء.

قال السخاوي -رحمه الله: "وقد رأيته في بعض المصاحف المدنية القديمة: **﴿يَعْبَادُ﴾** بالياء"⁽³⁾.

4- المصحف المكي:

استشهد الإمام السخاوي بالمصحف المكي دون وصف له، والمصحف المكي من المصاحف العثمانية، وقد ورد ذكر منسوباً إلى عثمان **رضي الله عنه** في عددٍ من المصادر⁽⁴⁾. ومما يرجح أنه هو المصحف المنسوب الذي وقف عليه السخاوي، أن السخاوي له رحلة إلى مكة للحج، ولم يعرف في مكة من المصاحف العتيقة غير هذا المصحف.

(1) انظر: مختصر التبيين: (5/1295).

(2) انظر: الوسيلة إلى كشف العقيلة: (ص259).

(3) انظر: الوسيلة إلى كشف العقيلة: (ص226).

(4) انظر: المصاحف المنسوبة للصحابة والرد على الشبهات المثارة حولها: (ص76).

استشهاد السخاوي بهذا المصحف:

يُعتبر المصحف المكي أقل المصاحف التي استشهد بها السخاوي - رحمه الله - حيث لم يستشهد به إلا في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ الزخرف: ٧١ حيث ذكر أنه وقف عليها في المصحف المكي بإثبات الهاء ⁽¹⁾.

وهذا الرسم بإثبات الهاء موافق لقراءة نافع وابن عامر وحفص، وقرأ الباقيون بحذفها ⁽²⁾.

(1) انظر: الوسيلة إلى كشف العقيلة: (ص 224).

(2) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة: (ص 654).

المبحث الثالث: نماذج من المصاحف المخطوطة وأبرز مميزات -دراسة وصفية-:

من خلال المباحث السابقة يتضح للقارئ الكريم أهمية المصاحف المخطوطة وعناية العلماء بها؛ لذا أحببت في هذا المبحث أن أعرض نماذج من أشهر المصاحف المخطوطة وذكر مميزات، مراعيًا في ذلك ما يلي:

- 1- التعريف بهذه المصاحف مع ذكر وصف مختصر لها.
- 2- ذكر مكان هذه المصاحف.
- 3- موقف هذا المصحف من قواعد علم الرسم والتزامه بها.

أولاً: مصحف ابن البواب:

التعريف بناسخ المصحف:

هو: أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب، ولد عام ثلاث مائة وخمسين، اشتهر بجمال خطه حتى قال عنه الإمام الذهبي: "أنتهى إليه حسن الخط"⁽¹⁾، عمل في خزانة بهاء الدولة البويهية، وكان قيماً على دار الكتب بشيراز.

توفي -رحمه الله- عام أربع مائة وأربعة عشر ببغداد، ودفن بجوار الإمام أحمد ابن حنبل -رحمه الله-.

التعريف بمصحفه:

يُعدُّ ابن البواب من الخطاطين المعروفين في تاريخ الكتابة العربية، فلا يكاد تخلو الكتب المعنية بتاريخ الكتابة والمخطوطات من ذكر اسمه⁽²⁾، وكان له بكتابة المصاحف عناية خاصة، فقد ذكرت بعض المصادر أنه كتب أكثر من ستين مُصحِّفاً⁽³⁾، لكن لم يصلنا منها إلا مصحف واحد فقط، نسخه سنة ثلاث مائة وواحد وتسعين.

وقد نسبت له عدد من المصاحف، لكن لا توجد قرائن تثبت نسبة هذه المصاحف إليه.

(1) انظر: سير أعلام النبلاء: (315/17).

(2) انظر: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات: (312/2).

(3) انظر: الأعلام: (31/5).

أمّا هذا المصحف فهو مصحف كامل، بلغت عدد أوراقه 281 ورقة، فيكون عدد صفحاته 562 صفحة، في كلّ صفحة منها 15 سطر كُتب بالمداد الأسود، أما أسماء السور، ورموز الآيات فقد كانت مذهبةً بمدادٍ أزرق.

وقد راجع ابن البواب هذا المصحف بعد كتابته، وقام باستدراك ما سقط من كلمات وآيات، وكتبها بين السطور، وهي يسيرة في مجملها.
كُتِبَ في آخره: "كُتِبَ هذا الجامع علي بن هلال بمدينة السلام سنة ثلاث مائة وإحدى وتسعين".
- مكان وجوده:

هذا المصحف موجود في مكتبة جسترستي في دبلن بإيرلندا برقم (16/K) نشرته المكتبة بتاريخ 1980 مع تعليقٍ عليه باللغتين العربية والإنجليزية.

- موقف هذا المصحف من قواعد علم الرسم والتزامه بها:

بالرغم من المكانة العلمية لابن البواب وعنايته بنسخ المصاحف، إلا أننا نجد أنه خالف عدداً من قواعد الرسم العثماني، وذلك في مواضع عدّة، منها:

1- إثبات الألفات المحذوفة:

اتفق علماء الرسم على حذف ألفات جمع المذكر السالم، ومن خلال النموذج المرفق نجد أنه أثبت الألف في جمع المذكر السالم مثل: (الظالمون)، و(بينات) فأثبت الألف، وقد اتفق علماء الرسم على حذفها.

2- إبدال الألف واوًا:

من خصائص الرسم العثماني إبدال بعض الأحرف إمّا لبيان القراءات الواردة فيها، أو بيان أصل الكلمة، إلا أننا نجد أن ابن البواب لم يلتزم بهذا، فنجد أنه كتب بعض الكلمات وفق الرسم الإملائي مثل (بصلاتك) فقد أبدلت الألف واوً في الرسم العثماني.
وبالرغم من مخالفة هذا المصحف لقواعد الرسم فإنّ هذا لا يقلل القيمة التاريخية والعلمية لهذا المصحف.



نموذج من مصحف ابن البواب

ثانياً: مصحف ياقوت المستعصمي:

التعريف بناسخ المصحف:

ياقوت بن عبد الله، جمال الدين المستعصمي الكاتب، اشتراه الخليفة المستعصم صغيراً، وربى بدار الخلافة واعتنى بتعليمه الخط صفي الدين عبد المؤمن، وبرع في الخط فكان من أشهر الخطاطين في عصره، حتى قيل فيه: "بلغ من الخط غاية ما بلغها ابن البواب" كان أديباً عالماً فاضلاً شاعراً، توفي رحمه الله سنة ستمائة وست وتسعين⁽¹⁾.

التعريف بمصحفه:

يُعدُّ ابن البواب من الخطاطين المعروفين في تاريخ الكتابة العربية، فلا يكاد تخلوا الكتب المعنية بتاريخ الكتابة والمخطوطات من ذكر اسمه⁽²⁾، وكان له بكتابة المصاحف عناية خاصة، فقد ذكرت بعض المصادر أنه كتب أكثر من ستين مُصحِّفاً⁽³⁾، لكن لم يصلنا منها إلا مصحفٌ واحدٌ فقط، نسخته سنة ثلاث مائة وواحد وتسعين.

وقد نسبت له عدد من المصاحف، لكن لا توجد قرائن تثبت نسبة هذه المصاحف إليه. أمّا هذا المصحف فهو مصحف كامل، فبالرغم من أنها كتبت في القرن السابع إلا إنها ما زالت تحافظ على أصل مادته ونضارة ورقها، بل يحسبها متفحصها مما نسخ حديثاً، ولكنها أصيبت بقليل أثر من رطوبة ظهرت في بعض أوراقها، فنلاحظ أنَّ بعض رؤوس الآيات تعرضت لذوبان تذهيبها مما ظهر على الورقة التي تليها أو وجهها الآخر ولم يؤثر عليها.

بلغت عدد أوراقه 230 ورقة، فيكون عدد صفحاته 460 صفحة، في كلِّ صفحةٍ منها 13 سطر، بخط نسخٍ مجوّد واضح، كُتِبَ بالمداد الأسود، وأُطِرَت الصفحات بإطار من ذهب، ورؤوس الآيات بشكلٍ دوائر مطموسة بالذهب فيها خمسة خطوط، وفواتح السور داخل كتائب متعددة الشكلٍ مختلفة اللون.

كُتِبَ في آخره: "قد وقع الفراغ من كتابة هذا المصحف على يد العبد الفقير إلى الله ياقوت المستعصمي... سنة ثمان وثمانين وستمائة".

(1) انظر: ياقوت المستعصمي من بغداد إلى فلورنسا للدكتور محمود الشيخ، بحث ضمن حولية: دراسات في آثار الوطن العربي العدد 91.

(2) انظر: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات: (312/2).

(3) انظر: الأعلام: (31/5).

- مكان وجوده:

تقع هذه النسخة الفريدة بمكتبة الحميدية في اسطنبول تحت رقم (5) في قسم المصاحف المخطوطة.

- موقف هذا المصحف من قواعد علم الرسم والتزامه بها:

على عكس م صحف ابن البواب نجد أنّ هذا المصحف التزم بقواعد الرسم التزاماً تاماً مع ضبطه بالحركات، كما نجد أنّ المستعصمي اعتمد على قول الكوفيين في عدد آي القرآن في كلّ السور، إلا أنه يخطئ في العدد الإجمالي لآيات السورة كما في سورة الطور، فذكر أنها أربعون آية وهي تسع وأربعون، وقد وقع منه ذلك في أكثر من سورة.



نموذج من مصحف ياقوت المستعصمي

الخاتمة

وفي نهاية المطاف ومعايشتي لهذا البحث، الذي شرفت من خلاله بتسليط الضوء على جانب مهم من جوانب الإبداع في تاريخ أمتنا المشرق - وهو عنايتهم بالمصاحف المخطوطة -، أحمد الله ﷻ تعالى على تيسيره وإحسانه فله الحمد في أول أمري وآخره، وقبل ختم هذه الورقات، أعرض للقارئ الكريم هذه النقاط توصلتُ إليها من خلال هذا البحث:

1- أسبقية علماء الإسلام في العناية بالمخطوطات لا سيما المصاحف العثمانية.

2- المصاحف العثمانية مصدر من مصادر علم الرسم

3- تتفاوت المصاحف العثمانية في الالتزام بالرسم العثماني.

وقبل ختام هذا البحث لا يفوتني أن أوصي بهذه النقاط الموجزة:

4- أهمية العناية بالمصاحف المخطوطة وإخراجها.

5- المكتبة القرآنية بحاجة ما سة لدرا سات مقارنة بين قواعد الر سم العثماني، وواقع الم صاحف المخطوطة.

6- دراسة جهود الأئمة المتقدمين في الربط بين قواعد الرسم العثماني، والمصاحف المخطوطة.

وفي الختام لا يسعني إلا الاعتراف بالعجز عن بلوغ الغاية، وأسأل الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل وان يغفر ما فيه من نقصٍ وتقصير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين.
- حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق - بيروت.
- دليل الحيران على مورد الظمان: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي، الناشر: دار الحديث - القاهرة.
- رحلة ابن جبير: ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- رسم المصاحف (دراسة لغوية تاريخية) للدكتور: غانم قدوري الحمد، الناشر: دار عمّار.
- هجاء الكتابة العربية للفضل الصادق: بحث محكم في مجلة النيل الأبيض للدراسات والبحوث العدد 22.
- مجلة الأزهر: المجلد السابع، العدد العاشر.
- دراسات في علوم القرآن: لمحمد بكر إسماعيل، دار المنار، الطبعة الثانية.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، الناشر: دار الحديث - القاهرة.
- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية.
- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، للدكتور: أيمن فؤاد السيد، الناشر: مكتبة الأسكندرية.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة.
- المحكم في نقط المصاحف، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: د. عزة حسن، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية.

- مختصر التبيين لهجاء التنزيل: أبو داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي بالولاء، الناشر: مجمع الملك فهد - المدينة المنورة.
- المصاحف العتيقة شواهد للقراءة والرسم عند متقدمي أهل العلم، بحث محكم للدكتور عبد الرزاق هرماس.
- المصاحف المنسوبة للصحابة والرد على الشبهات المثارة حولها، للدكتور: محمد الطاسان، دار التدمرية.
- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، لناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- النشر في القراءات العشر، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، راجعه وعلق عليه: علي بن محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية شهرية علمية محكمة

الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X

الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818

البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2024	2023	2022	2021	2020	العام
0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	0.0366	معامل أرسيف
1.55	1.25	1.73	1.60	1.60	معامل التأثير العربي